

الفصل الثاني

الأسرة و الإنترنت

الأسرة، أو "العائلة" Family هي الخلية الأساس في المجتمع، وأهم جماعاته الأولى، تتكوّن الأسرة من أفراد تربط بينهم صلة القرابة والرحم، وتساهم الأسرة في النشاط الاجتماعي في كلّ جوانبه الماديّة والروحيّة والعقائديّة والاقتصاديّة.

والأسرة تُعدّ الوحدة الاجتماعيّة الأولى التي ينشأ فيها الفرد ويتفاعل مع مكوناتها، ومن ثمّ فهي تؤثر على النموّ الشخصي في مراحلّه الأولى، سابقة بذلك أيّة جماعة أخرى توجد في البيئة المحيطة بالفرد في كافّة مراحلّه العُمريّة. حيث تُعتبر المسؤول الأوّل عن بناء الشخصية الاجتماعيّة والثقافيّة، وإذا كانت الأسرة هي النواة الأولى لعملية "التنشئة الاجتماعيّة" Socialization والتي تتولى تنشئة أطفالها أو أفرادها في مراحلهم العُمريّة المختلفة، فهذا لا يعني أنّها المؤسّسة الوحيدة التي تتولى عملية التنشئة الاجتماعيّة التي تتم وتتاثر بعده مؤسّسات، كالمدسة، وجماعة الرفاق، ودور العبادة، ووسائل الإعلام.

♦ الأسرة.. والتنشئة الاجتماعيّة:

التنشئة الاجتماعيّة.. تعني الاهتمام بالنظم الاجتماعيّة التي من شأنها أن تُحوّل الإنسان - تلك المادة العضويّة - إلى فرد اجتماعي قادر على التفاعل والاندماج ببسر مع أفراد المجتمع. وهي عملية يكتسب الأطفال بفضلها الحكم الخُلقي والضبط الذاتي اللّازم لهم حتى يصبحوا أعضاء راشدين مسؤولين في مجتمعهم. فالتنشئة الاجتماعيّة حسب المفهوم الاجتماعي ما هي إلا تدريب الأفراد على أدوارهم المستقبلية ليكونوا أعضاء فاعلين في المجتمع، وتلقنهم للقيم الاجتماعيّة والعادات والتقاليد والعرف السائد في المجتمع لتحقيق التوافق بين الأفراد، وبين المعايير والقوانين الاجتماعيّة، ممّا يؤدي إلى خلق نوع من التضامن والتماسك في المجتمع. وهي أيضاً عملية "تعلّم" Learn، و"تعليم" Teaching ، و"تربية" Education، تقوم على "التفاعل الاجتماعي" Social interaction وتهدف إلى إكساب الفرد (طفلاً فمراهقاً فراشداً فشيخاً) سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعيّة مُعيّنة، تُمكنه من مسايرة جماعته، و"التوافق الاجتماعي" Social compatibility معها، وتكسبه الطابع الاجتماعي، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعيّة.

والأسرة العربيّة تمتلك، بالمقارنة مع الأسرة في المجتمعات الغربيّة، العديد من المزايا، فهي توفر الأمان العاطفي والوجداني لأبنائها، وتمدّهم عنبر مجموعة من الأدوار والوظائف التي تؤدّيها، بالقيم والاتجاهات والمعارف وأنماط السلوك

وطرق العيش والمواقف الحياتية، فضلاً عن المبادئ التربوية والأخلاقية، أي إن الأسرة هي المصدر الأول للثقافة بمعناها الأنثروبولوجي (علم الإنسان) Anthropology الموسع، رغم أنها لم تبقى وحدها المؤثر الفاعل في هذا المجال، وعبر تلبية حاجات الفرد الروحية والمعرفية والجمالية تقوم الثقافة Culture بأهم أدوارها وأكثرها قابلية للديمومة والبقاء.

بالمقابل تعرّضت الروابط الأسرية في الغرب لكثير من التفكك، وأدت النزعة الفردية المفرطة إلى إضعاف الحياة الأسرية. وهو ما يدعونا إلى التمسك بفضائل الأسرة والعمل على تمكين أفرادها وتشجيع الحوار بين الأهل والأبناء لمواجهة صعوبات الحياة ومستجداتها، مع الاعتراف بأنّ تحيّرات عديدة طالت الحياة المعاصرة جعلت الأسرة أحد العوامل المؤثرة في التنشئة إلى جانب وسائل الاتصال والرفاق والجماعات الأخرى التي يتفاعل معها المرء في حياته، وحيث أنّ حقول العلم والمعرفة كثيرة ومتنوعة واكتشافاتها في تزايد مستمر، وهذا يعني أن ما نواجهه من حيرة حول كيفية التعامل مع "الانترنت" كإكتشاف علمي له وزنه المعرفي والحضاري من جهة، وله مساوئه من جهة أخرى أصبح يحتم علينا البحث عن طرق الوقاية منها، وهو ما سيواجهنا مع أية ظاهرة أو إكتشاف علمي آخر، لذا لا بدّ من التعامل مع مثل هذه المسائل المثيرة للجدل والحيرة بشيء من المنطق الذي يفرض علينا الكثير من الدراية والوعي حول معرفة ترتيب الأولويات والحاجات المرافقة لمراحل حياتنا (الطفولة Childhood - المراهقة Adolescence - الشباب youth) من قبل المعنيين والقائمين على عملية التنشئة الاجتماعية في كافة مراحلها (الوالدين Parents - المدرسة School - وسائل الإعلام The media) حيث يجب تحديد ما يلزم من علم وثقافة ومعرفة وتكنولوجيا تتناسب مع الاحتياجات التنموية لأفراد الأسرة والمجتمع.

♦ الأسرة..كيف تواجه التكنولوجيا الحديثة والإنترنت ؟

الدكتور "جراي سمول" Gray Small، من "جامعة كاليفورنيا" University of California بـ"لوس أنجلوس"، Los Angeles يقول في تصريح له: « إنّ التعرّض اليومي للتكنولوجيا الرقمية مثل: الهواتف المحمولة، والإنترنت، قد يغيّر من الطريقة التي تعمل بها عقولنا »، وبرّر "د. سمول" هذا بأننا عندما نقضي وقتاً طويلاً في التعامل مع الوسائل التكنولوجية - وعلى الجانب الآخر نقضي وقتاً أقل في التعامل مع الأشخاص الحقيقيين - فإنّه يجعلنا نفقد تدريجياً المهارات الأساس في التعامل الاجتماعي مع الناس، كما نفقد القدرة على قراءة وفهم التعبيرات على وجوه الناس، والتي تظهر أثناء المحادثة معهم.

ويضيف "د. سمول" في ذات السياق: « إنَّ الوصلات العصبية في المخ - المسؤولة عن التعامل مع العلاقات التي تنتم وجهاً لوجه - تُصبح أضعف، ويؤدي هذا إلى أن يُصبح الشخص أقل لباقةً في التعاملات الاجتماعية، وأقل قدرة على التعامل مع الناس، ويؤدي هذا به إلى العزلة الاجتماعية ».

من هذا المنطلق، فإنَّ الأسرة - في زمن العولمة ومستجداتها التكنولوجية الحديثة، وعلى رأسها شبكة الإنترنت - تواجه تحديات أخرى، لعلَّ أهمها تأثير عملية التنشئة الاجتماعية بعوامل خارجية مُهذبة لمنظومة القيم المتوارثة، حيث أثرت التكنولوجيا بتقنياتها المتعددة، وخصوصاً في مجال الاتصال على العلاقات الأسرية التي شهدت تباعداً وتقلصاً في نوعيتها واستبدل أفراد الأسرة بالتبادل اللفظي، والنقاش، والتفاعل المباشر، التعامل مع التقنيات، وبناء علاقات افتراضية من خلال وسيط صامت هو "الانترنت" الذي ساعد على تسهيل العلاقات والتفاعلات بطرق عديدة ولكنها بعيدة أو متباعدة في المكان.

وبعد أن حدثت التطورات الكبيرة في وسائل الاتصال وتقنياته ظهرت مصادر جديدة للمعارف فتأثرت أنماط العلاقات الأسرية والاجتماعية سلباً بهذه التطورات، ففي الدول الغربية انخفضت أهمية الأسرة مقابل ارتفاع دور وتأثير وسائل الإعلام فمثلاً في عام 1960 كانت الأسرة هي المصدر الأساس في التأثير على الأجيال الصغيرة، تليها المدرسة، ثم دائرة الأصدقاء، فدور العبادة، ولم يكن لوسائل الإعلام دور يُذكر في التأثير على هؤلاء الصغار، ولكن في عام 2004 احتلت وسائل الإعلام المرتبة الأولى، تليها جماعة الأصدقاء، وتراجعت الأسرة إلى المرتبة الثالثة، واحتلت المدرسة المرتبة الرابعة.

والسؤال الذي يطرح نفسه بشدة: كيف تؤثر التكنولوجيا الحديثة بما فيها الإنترنت على التماسك الأسري ؟

في البداية يجب أن نؤكد أنَّ مفهوم "التماسك" يحتل مكانة مركزية في الدراسات الاجتماعية، ويحظى بأهمية خاصة لدى كلِّ المفكرين الاجتماعيين على اختلاف مدارسهم ومذاهبهم الفكرية.

ويُقابل هذا المفهوم في دراسات الأسرة مفهوم مماثل في قيمته ودلالته هو "التماسك الأسري" Family cohesion الذي نجد له تعريفات كثيرة ومتنوعة، لكننا سنقتصر على تعريف بسيط وبلغ يفي بالمطلوب: " هو الرابطة العاطفية القوية الذي تجمع أفراد الأسرة الواحدة"، هذه الفكرة تدل على التفاعل الوجداني الإيجابي الذي يُميز علاقة الآباء والأمهات بأطفالهم، كما يتجلى التماسك في الأنشطة المشتركة، والسلوك والمفاهيم الداعمة للمحبة، بالإضافة إلى الآثار المفيدة لسلوك الأطفال وتنمية شخصياتهم وقدراتهم، إذ غالباً ما يكون الوالدان الجهات الرئيسة الفاعلة في بناء شبكة العلاقات الاجتماعية التي يقيمها الأطفال. كما ترتبط

عملية النمو الكمية والنوعية لشخصية الأطفال ارتباطاً وثيقاً بطبيعة وحجم الموارد التي يوفرها لهم الآباء

وقد بينت الدراسات الاجتماعية والنفسية أنَّ المراهقين الذين تربطهم علاقة حميمة بوالديهم يحققون معدلات عالية في المدرسة، وتنخفض لديهم معدلات التغيب عن المدرسة، كما تكون معدلات التسرُّب المدرسي لديهم ضعيفة للغاية، فضلاً عن ندرة حالات التماس الرعاية الطبية بسبب مشكلات عاطفية أو سلوكية.

لقد زاد الاهتمام بين الباحثين في السنوات الأخيرة بموضوع التأثيرات الاجتماعية للتكنولوجيا الحديثة علي الأسرة والعلاقات الأسرية، وبخاصة التقانة أو التكنولوجيا الرقمية بأدواتها المتعددة والمختلفة. وأبرزت دراسات عديدة أنَّ هناك احتمالات قوية أن يؤثر دخول الهاتف الجوال، والفضائيات والحاسوب، وبالدَّات علي الانترنت علي العلاقات الأسرية عامّة، وعلي العلاقة بين الوالدين والأطفال والشباب بصفة خاصّة. وبرغم ذلك الاتفاق بين المهتمين، فإنَّ الآليات الفعلية التي تُمارس من خلال التقانة الحديثة بتأثيراتها ليست معروفة تماماً، ولا هي محل اتفاق.

وهذا ما يفتح الباب واسعاً أمام تنافس عدة مقاربات، أو بتعبير أدق عدة فرضيات لفهم الطريقة أو الطرق التي تؤثر بواسطتها التقانة الحديثة، وبالدَّات الانترنت علي العلاقات الاجتماعية في الأسرة، وتنافس في ميدان البحث حول هذا الموضوع ثلاث مقاربات أو فرضيات:

* تتمثل الفرضية الأولى فيما يُعرف بـ "الحدود الأسرية" Family boundaries التي تقترح أنَّ إدخال وسائل التكنولوجيا الحديثة إلي البيت، مثل: الحاسوب والانترنت يُهدد بإسقاط الحدود الفاصلة بين العام والخاص. إذ يمكن أن تؤدي تلك التقانة إلي ظهور توترات وصراعات عديدة بين أفراد الأسرة، وبخاصة بين الآباء وأطفالهم، وبالدَّات المراهقين منهم.

وتتعدد أسباب تخوف الآباء من الانترنت التي يرون فيها خطراً كبيراً بسبب ما تلتهمه من وقت الأطفال وإبعادهم عن دراستهم، ناهيك عمَّا تقتضيه أمامهم من عوالم غريبة قد تُهدد أخلاقهم وسلوكهم، ولكن أيضاً لأنها تُهدد خصوصية الأسرة، لأنَّ الدخول في مواقع الشبكة و"غرف الدردشة" chat rooms غالباً ما يستدعي تقديم معلومات خاصّة عن الشخص ومُحيطه العائلي لأفراد غرباء، أو لوكالات تجارية، ومن ثمَّ يضع الطفل أو المراهق تلك المعلومات في متناول مُستعملي الانترنت من الغرباء. بل لقد ثبت فعلاً أنَّ الشركات التي تمتلك المواقع أو تديرها لا تكفي باستعمال تلك المعلومات فيما يعود عليها هي ذاتها بالفائدة، بل تقوم أيضاً بالتنازل عن تلك المعلومات الخاصة لمنتسبيها، أو تبيعها لأطرافٍ

أخري لأغراض تجارية ودعائية وربما لغير ذلك أيضاً. وهذا ما يؤدي إلي توتر العلاقات بين الآباء والأبناء بشكل مستمر، لأن الآباء يرون في ذلك مصدراً رئيساً لمخاطر كثيرة قد تتعرض لها الأسرة وتهدد مصالحها المادية والمعنوية.

* وتري الفرضية الثانية المُسماة "إعادة توزيع الوقت" Redistribute time احتمالات كبيرة لحدوث تغييرات في تماسك الأسرة بسبب أن استخدام الانترنت إنما هو نشاطاً يستهلك وقت الأفراد، ومن ثم فهو يُقلص من مقدار الوقت المُخصَّص للأسرة. بعبارة أخرى، يري أنصار هذه الفرضية أن الوقت الذي يقضيه الأفراد علي الانترنت سيكون علي حساب الوقت الذي يقضونه مع أفراد الأسرة الآخرين، خاصةً الزوجين فيما بينهما، أو الوالدين مع أطفالهما. وهو ما يؤدي إلي ضعف التماسك الأسري سواء تعلّق الأمر بالعلاقة بين الزوجين، أم تعلّق بالعلاقة بين الآباء والأطفال، خاصةً المراهقين، الذين يكونون بحاجة كبيرة للدعم المعنوي والأخلاقي من الوالدين في مرحلة حاسمة من نمو شخصياتهم.

* أما الفرضية الثالثة التي تقوم علي فرضية "تركيبية الشخصية" Personal combination فإنها تعتقد أن التكنولوجيا الحديثة وبالذات الانترنت لا تؤثر علي العلاقات الأسرية إذ إنَّ كُلَّ التغيرات التي تحدث في العلاقات الأسرية، وكذا الصراعات والتوترات التي تصيبها، وضعف التماسك الذي يُميزها ليس بالضرورة ناتجاً عن استعمال هذه التكنولوجيا، بل عن استعدادات قبلية متأصلة في شخصية الأفراد المُستخدمين لها، فالأفراد الذين يستخدمون الانترنت بكثرة، خاصةً المراهقين، يتميزون بضعف المفهوم الايجابي للذات لديهم، وهذه السمة هي التي تؤثر سلباً علي العلاقات بين أفراد الأسرة، وبالذات بين الوالدين والمراهقين.

أما بخصوص دور التكنولوجيا الحديثة والانترنت تحديداً في بناء وصياغة اتجاهات الأفراد والعلاقات الاجتماعية فقد أبرزت دراسة مهمة حول هذا الموضوع أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية في منتصف التسعينيات من القرن العشرين أن هناك نزعة قويّة لتراجع الالتزام المدني والمشاركة الاجتماعية من قبل المواطنين خلال السنوات الـ 35 الماضية. حيث لوحظ تراجع في إقبال المواطنين علي الانتخابات، كما ضعف إقبالهم علي الكنائس، وقلّ الاهتمام بالشأن العام ومناقشته مع الآخرين، وتراجعت عضويتهم في التنظيمات التطوعية، كما صار الناس يلتقون بدرجة أقلّ في المناسبات الاجتماعية.

وبيّنت الدراسة أن هذا التراجع في الالتزام الاجتماعي أدّي إلي عواقب سلبية علي الجسم الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية وعلي الأفراد أيضاً، فعلي المستوي الاجتماعي صاحب تراجع الالتزام الاجتماعي ارتفاع في الفساد، ونقص في فاعلية الحكم وارتفاع في معدلات الجريمة. وقد ثبت بالممارسة أن المواطنين الذين يشاركون في الحياة المدنية والعامة يحققون منافع كثيرة، فالمدارس التي يتعلّم فيها

أبناؤهم تسير بشكل أفضل، وتصبح شوارعهم آمنة. أما على المستوى الفردي فإن الانسحاب من الالتزامات الاجتماعية فهو يؤدي إلى العزلة والانطوائية، ومن ثم إفقار نوعية الحياة، فضلاً عن تراجع خطير في مستوى الصحة النفسية والفيزيائية. ولقد ثبت أيضاً بما لا يدع مجالاً للشك، أن الناس الذين لديهم شبكة علاقات اجتماعية واسعة يتمتعون بصحة نفسية وفيزيائية أفضل، ويشعرون بسعادة أكبر في حياتهم.

♦ لا غني عن الإنترنت !!

لا يمكن إنكار أن الاتصال على شبكة الإنترنت الآن من العناصر المهمة في حياة معظم الناس في المجتمعات المعاصرة، حيث انتشرت استخدامات الاتصال بشبكة الإنترنت في أماكن العمل والمدارس والمكاتب والمنازل، وأصبح الجميع ومن بينهم الأطفال والشباب من المستخدمين الدائمين لهذه الشبكة. وتُشير الإحصائيات إلى أن 60% من المنازل في الدول المتقدمة تمتلك على الأقل جهاز كمبيوتر واحد، فهل الأمر يختلف في الدول النامية ومن بينها الدول العربية؟ في الحقيقة ورغم أنها أقل من حيث الاستخدام، إلا أن هناك نمواً سريعاً في هذا المجال حتى أن مؤشرات استخدام تقنيات الاتصال الحديثة في الدول العربية الخليجية تُضاهي الدول المتقدمة، بل تفوق العديد منها.

وقد توصلت نتائج بعض الدراسات إلى موافقة أغلبية الأمهات عينة الدراسة على ضرورة وجود الإنترنت في المنزل، وأنه أصبح من الضروريات بنسبة قدرها 69,9%. كما يرون أن للإنترنت إيجابيات، وأن إيجابياته أكثر من سلبياته، كما يرون أن الإناث والمراهقين هم أكثر استخداماً للإنترنت، مما يدل على أهمية الإنترنت في الوقت الحالي، حيث أنه يمثل المصدر الرئيس للمعارف والمعلومات.

وجاء استطلاع أجري من قِبل مؤسسة "بيو إنترنت" Pew Internet في عرض آراء نحو 2252 أسرة، وخلصت إلى أن الأسر التقليدية تواجه ضغوط الحياة العصرية المتزايدة، باستخدام الهواتف المحمولة، والبريد الإلكتروني، والرسائل النصية للبقاء على اتصال". وقال 53% ممن شملتهم الدراسة إن التقنيات الحديثة ساعدتهم على البقاء على اتصال مع أقاربهم، الذين تفصلهم عنهم مسافات بعيدة. وذكر 47% من الأسر: أنها حسنت من تفاعلاتهم مع من يعيشون معهم. وأفاد 47% آخرون: بأن التكنولوجيا الحديثة ليس لها أي أثر. وذكر 2% أنها أدت إلى انخفاض جودة التفاعل بين أفراد الأسرة.

وبالرغم من كل الجدل والحوار الدائر اليوم حول تداعيات استخدام الإنترنت علي الأسرة والمجتمع، فإن مُستخدمي الإنترنت من العرب لم يتجاوز 2% من

مُستخدمي الشبكة في العالم، رغم أنهم يشكلون أكثر من 5٪ من سكان العالم، هذا وما زال المحتوى العربي علي الشبكة ضئيلاً، ولا يمثل سوى 1٪ من المحتوى العالمي كُلّه.

♦ الإنترنت .. والعلاقات الاجتماعية في نطاق الأسرة:

بالطبع لم يُخلق الإنسان وحيداً قط، لذا كان يجب عليه الاندماج مع غيره في المجتمع، وتكوين صداقات ومعارف تُعينه على التعايش في هذه الحياة، فانعزال الإنسان وحيداً بعيداً عن الناس ليس بالأمر السهل كما نتصور، فعلى الرغم من أن هناك الكثير من الحمقى والأغبياء الذين يعتقدون أن الحياة ستبدو أسهل إن ابتعدوا عن كافة أنواع التواصل مع غيرهم، ولكن لا يوجد أصعب من أن تمضي الإنسان وقته وحيداً لا يجد من يُحدثه أو يشاركه أفراحه أو أحزانه بشكل عام.. لذا فإنّ التواصل المستمر مع الناس يجعل من السهل عليه أن يتعامل مع كافة المواقف في حياته، والاستفادة من تجارب الآخرين، كما أنّه سيجد معيماً له يوم أن يحتاج إلى ذلك، فالعلاقات الاجتماعية مهمة جداً وضرورية للغاية.

وقد توصّل فريقٌ بحثي أمريكي من جامعة "يونغ بريغهام" Young Brigham إلى أنّ قضاء وقتٍ سعيدٍ مع الأهل والأصدقاء، يُقلّل من خطر الموت المبكر بنسبة 50٪، وصرّح أعضاء الفريق بأنّ العلاقات الاجتماعية القويّة مفيدة للصحة؛ مثل: التوقف عن التدخين؛ حيث إن ضعف العلاقات الاجتماعية يُوازي تدخين 15 سيجارة في اليوم، وإن تراجع الحياة الاجتماعية يُعادل مُعاناة إدمان الخمر، وتأتي أهمية العلاقات الاجتماعية في أنّها تزيد في صحة الإنسان أفضل من اللقاءات التي تمنع الإصابة بالمرض؛ ذلك أنّ الإنسان خُلِق كي يعيش مع غيره، وأن عزلته عن الناس تُسبّب له أمراضاً نفسيّةً وصحيّةً. إنّ وجود العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة يعني وجود المحبة، والعاطفة، والمودة، وغيرها من الصفات الحميدة، التي تجعل الأسرة متماسكة ومتراصة.

وكان للإنترنت تأثيراً ملحوظاً علي مثل هذه العلاقات الاجتماعية، فقد ساعد الإنترنت على توطيد الكثير من العلاقات الاجتماعية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، ولكن بطريقة أكثر بروداً عن ذي قبل، فعلى الرغم من أن الإنترنت استطاع تقريب المسافات، واختصار الوقت والجهد والمال، إلا أنّ الكثير من العلاقات الاجتماعية أصبحت شبه راكدة، مملّة، فقد استبدلت الزيارات والتجمّعات في المناسبات والأعياد برسالةٍ صغيرةٍ يرسلها الشخص إلى مَنْ يُريد عوضاً عن زيارته، أو الحديث إليه وجهاً لوجه، فكانت تلك الرسائل أشبه بتسجيل الحضور فقط في حياة البعض، هذا الحضور الاسمي فقط وليس الفعلي.. فاخترق الهدف الأصلي من التواصل، وأصبح كلّ شيء بارداً، كما أنّ التجمّعات

العائلية وتجمعات الأصدقاء نفسها لا يخلو منها هذا المشهد الذي ترى فيه كل فرد ممسك هاتفه المحمول متصفح للإنترنت لا يحفل بالاجتماع مع أصدقائه وعائلته، فأصبحت العلاقات الاجتماعية مفككة ومتباعدة بشكل كبير، واختفت مظاهر المشاركة الفعلية التي تكون في الحزن والفرح وغيرها إلا في حدود ضيقة جداً، وغالباً ما تكون قاصرة على رسالة على الإنترنت.

♦ كيف أفادت شبكة الإنترنت.. الأسرة ؟

ككل اكتشاف علمي أو تطور تكنولوجي فإن للإنترنت إيجابيات وسلبيات وهو الأمر الذي يتوقف على مُستخدميه وكيفية استخدامه، فهو مصدر للحصول على المعلومة، والتسلية، وللتواصل بين الأفراد، ولإعلان، والتسويق، وللتعبير عن الرأي بهدف، وبغير هدف.. الخ. وإنَّ التعامل مع الإنترنت قد ساعد الأسرة في البحث عن فرص العمل، أو التجارة، أو عقد الصفقات، أو التسجيل ودفع الرسوم، وتقليل فترات التسوق عبر الإنترنت، كما ساعد في ترتيبات السفر والحجز للرحلات السياحية، وفي التعرف وعقد الصداقات عبر القارات، ووسَّع من نطاق التعرف والمجالات التي تندمج معها الأسرة.

وهذا جعل من الإنترنت عاملاً من عوامل تحقيق التنمية البشرية بما يحمله من جوانب إيجابية، وتحدياً لها في نفس الوقت عبر إساءة استخدامه من قبل مُصممي ومُديري المواقع الإلكترونية، ومُستخدميها التي تنعكس على أفكار وسلوكيات الأشخاص، فأمَّا هذا المدَّ الإلكتروني لشبكة الإنترنت أصبح من الصَّعب بل من المستحيل علينا الانعزال عنه كأفراد أو كدول ومجتمعات. لذا نجد الدول بكبيرها وصغيرها متأثرة ومُستخدمة لشبكة الإنترنت، وهذا ما يوصلنا إلي أنَّ الأسرة بكافة مكوناتها ليست خارج هذا التأثير وتداعياته.

إنَّ تكنولوجيا الاتصال الحديثة تؤثر في سلوك أفراد الأسرة بأبعاده الثلاثة: (الأفعال Actions ، التفكير Thinking ، الانفعالات Emotions)، وبالتالي على علاقاتهم الداخلية (فيما بينهم)، وعلاقاتهم الخارجية (مع المجتمع)، كما أنَّ تكنولوجيا الكمبيوتر والإنترنت تؤثر في التفاعل الأسري في ضوء الإشباعات المطلوبة جراء استخدام هذه التكنولوجيا، وكذلك في ضوء نسق القيم السائدة في الأسرة، وقد تكون عاملاً يدعم هذا النسق أو يضعفه، فإذا كان الكمبيوتر والإنترنت يلعبان دوراً مهماً في حياة الأسرة المعاصرة، فإنَّ الجدوى المتحصلة تتوقف على طبيعة استخدام هاتين التقنيتين من جانب أفراد الأسرة والإشباع المتحقق.

وفيما يخص الأطفال، فإنَّ الاستخدام المعتدل والهادف للإنترنت لا يؤثر على الأداء الأكاديمي أو الاجتماعي من جهة. ومن جهة أخرى، فإنَّ الأسرة تُشكِّل المؤثر الأول في علاقة الأبناء بالإنترنت والآثار المترتبة على هذه العلاقة، وهنا

تؤكد الدراسات العلمية على أهمية دور الأسرة كسلطة ضابطة للسلوك وبما يتفق ونسق القيم السائد، فإذا مارست الأسرة هذا الدور تصبح تكنولوجيا الكمبيوتر والإنترنت عاملاً إيجابياً مواتياً من المنظور الأسري، وعندما تكون القيم الضابطة لسلوك أفراد الأسرة متفقة مع معايير تقرأها ثقافة المجتمع، تكون هذه التكنولوجيا مصدراً لإثراء القيم الإيجابية في الأسرة والمجتمع.

وفي ظل ما تطرحه العولمة من فرص وتحديات جدية بالاهتمام، فإن عملية التنمية والتغيير الاجتماعي تطرح على الأسرة مشاكل وتحديات تتعلق بتكوينها وتماسكها ودورها في عملية التنمية، من حيث تعليم وتأهيل الإنسان القادر على التفاعل الإيجابي والتعامل الواعي مع هذه التطورات ومحاولة حل المعادلة الصعبة التي تقتضي الاستفادة من العولمة، وفي الوقت ذاته مواجهة ما تنطوي عليه من تحديات، وهذا ما ينطبق تماماً على استخدام شبكة الإنترنت، فالعلاقة بين الأسرة والإنترنت ذات منحنيين: فمن جهة أولى يُشكّل الإنترنت داعماً أو شريكاً للأسرة في تكوين وتنمية شخصية أفرادها، ومن جهة أخرى يُشكّل اعتداءً أو اختراقاً (وهنا نستطيع تشبيه هذا الاختراق بما يسمى بلغة المعلوماتية الهاكرز Hackers) يعرقل أو يشوه عملها في بناء شخصيات أبنائها وصقلها.

ويؤدي الإنترنت دوراً إيجابياً ملموساً في توليد المعرفة والعلم لدى الأطفال والبالغين وإلى تغيير الأنماط الفكرية والسلوكية لديهم عبر حزمة متنوعة من:

* الموسوعات والكتب والمراجع المتوافرة على المواقع الإلكترونية والتي تؤمن للأفراد مصدراً غنياً بالمعلومات اللازمة لكتابة الواجبات المدرسية، والأبحاث، والتبحر في موضوع معين، أو مجال بعينه.

* أساليب وسبل تنمية مهارات حُب الاستطلاع والتعلم الذاتي، كما وفر الإنترنت شكلاً جديداً للتعليم والتعلم الاستكشافيين المفتوحين والشائقين.

* مهارات الأسلوب التفاعلي والمشاركة بالمعلومات والآراء والتجارب.

* أدوات وآليات استكشاف العالم ومتابعة كل ما يطرأ عليه من مستجدات في جميع المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفنية والرياضية الخ..

* تعلم اللغات الأجنبية المختلفة مما يُسهّل عملية التواصل بين الثقافات الأخرى والتعرف إليها.

♦ الإنترنت .. مخاطره وسلبياته على الأسرة:

نكرنا تأثير الإنترنت بشكل مجمل على العلاقات الاجتماعية في عمومها، ولكن بالتأكيد سيكون تأثيره على أفراد الأسرة الواحدة أشد خطراً، وإن كان قليلاً، ولكنه بالفعل ليس تأثيراً ضعيفاً بل إن تأثير الإنترنت على الأسرة تأثيراً خطيراً وقوياً

جداً، فلم يكتفِ الإنترنت بجعل الأسرة مُفكَّكة فحسب، بل إنَّه لا تخلو أي أسرة من مشكلات الإنترنت المختلفة.

في البداية إنَّ الفرد يحتاج إلى شريك في حياته، يُعينه على أعباء الحياة، ويُساعده فيها، فلا يشعر بأنَّه وحيداً أو قليل الحيلة، فإنَّ الأسرة تُعطي قوَّة للمرء، كما تعطيه الحبَّ الكافي الذي يحتاج إليه لمواجهة الكثير من الصعوبات، فعندما تغلغل الإنترنت في حياة الأسرة غيَّر في معالمها الأصلية، فأصبح المرء وحيداً في أسرته، ربما يتلقَّى دعمه من الخارج عن طريق علاقاته على مواقع التواصل الاجتماعي أكثر من الداخل في أسرته، فاختفت تلك العلاقة التي تجمع بين الأب وأبنائه، أو الأم وأبنائها، كما اختفت أيضاً علاقة الأخوة بعضهم البعض، والأكثر خطورة هو فتور العلاقة التي تجمع بين الزوج وزوجته، وبهذا قد أصبحت الأسرة مجرد كيان هش قابل للسقوط أو الانهيار في أيَّة لحظة. فمن الممكن أن نشاهد الأب وهو يحاول التواصل مع أبنائه بأن يخرج معهم في نزهة أو زيارة ولكن دون جدوى، لأنَّ الأبناء أصبحت متعتهم قاصرة فقط على متعة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي..

وكأننا نعرف أنَّ الإنترنت يحوي الكثير من المواقع التي لا يجب للأطفال الوصول إليها دون رقابة مناسبة، كما أنَّ الجلوس لساعاتٍ طويلة على الإنترنت يجعل الطفل لا يُمارس الألعاب الحركية التي من المفترض أن يقوم بها في هذا السن، أو لا يقوم بواجباته المدرسية المطلوبة منه، فيحصر اهتماماته في شيء معين وغالباً لا يُفيد. وقد توصلت بعض الدراسات إلى أنَّ غالبية المواقع التي يتصفحها مُستخدمين الإنترنت هي المواقع الترفيهية، حيث بلغت النسبة 62,2%، وهذا ما يؤكِّد صغر سن من يستخدم الإنترنت من فئات المجتمع، الذين يدفعهم لاستخدام الإنترنت التسلية.

ومثل هذا الطفل وغيره من الأطفال، يفقد بالتأكيد تواصله مع أسرته، بل سيقَل أيضاً إنتاجه في أي شيء آخر، وإن أُتيحت له الفرصة للقيام بعمل ما فسيبقى تفكيره مشتتاً بما كان يفعله على الإنترنت حتى يقوم بفعله مُجدداً، وبالتالي سيصبح انطوائياً داخل المنزل وخارجه، يقضي ساعات أطول منسكاً هاتفه المحمول أو أي وسيلة إلكترونية، كارهماً إمضاء وقته مع أي أحد آخر، ولذا لا يستطيع أن يحظى بأصدقاء جدد.

و لقد انتقل تأثير الإنترنت من الأبناء إلي الآباء، فنجد كثيراً الزوجة وهي تشكي غياب زوجها عنها وهو في المنزل، لأنَّه لا يترك هذا هاتفه الجوال من يده، أو لا يمل من الألعاب الإلكترونية التي أعدت للكبار أيضاً، وعندما يحدث مثل هذا الخلل في علاقة الزوج بزوجته فعلياً أن نتوقع أن البيت على وشك الانهيار، فحينما تنزعج الزوجة / الأم فإنَّ البيت كُلُّه ينزعج، وحينما تغضب، فغالباً

ما تصبّ جام غضبها علي أبنائها، أو ربما تتكاسل قليلاً رغباً عنها في أداء أعمال منزلها، وهي إن لم تجد الاهتمام الكافي الذي من المفترض أن يُحيطها به زوجها فلن تُعطيه بالمقابل لأبنائها، كما لن تعطي شيئاً أصلاً، فانشغال الزوج عنها وإمضائه الكثير من الوقت بعيداً يجعلها تشعر بالوحدة، وربما تقوم هي الأخرى بفعل نفس الشيء الذي يقوم به زوجها من الإمساك بهاتفها الذكي، والانشغال بالإنترنت، ولكن عندما تقوم هي بذلك سيكون هناك انهياراً حقيقياً لدعائم هذه الأسرة. والأمر لا يتطلب سوى أن يضعنا نصب أعينهما أنّ مصلحة الأبناء ورعايتهم مقدمة علي أية مصلحة أخرى وحسب.

ونورد هنا بعض نتائج البحوث والدراسات المُتعدّدة والكثيرة بهذا الشأن. فقد توصلت بعض الدراسات للنتائج التالية

* تأثرت الأسرة سلباً في ظل وجود الإنترنت بحيث ساهم في التقليل من القيام بالزيارات العائلية بنسبة بلغت 45,1%.

* استخدام الأب للإنترنت قلل من قيامه بمسؤولياته تجاه أفراد أسرته، بنسبة بلغت 38,1%.

* استخدام الأم للإنترنت قلل من أدائها لواجباتها تجاه أفراد أسرتها، بنسبة بلغت 37,1%.

* استخدام الإنترنت قلل من الأوقات التي يقضيها أفراد الأسرة مع بعضهم البعض، بنسبة بلغت 56%.

كما تبين من النتائج التي تمّ التوصل إليها من بعض البحوث الميدانية، ما يلي:

* هناك تغيّر في سلوكيات المُستخدمين للإنترنت، بحيث أدى استخدامه إلي العزلة داخل المنزل، بنسبة بلغت 52,6%.

* أنّ الأبناء - أحياناً - لا يحترمون قرّارات الوالدين، بنسبة بلغت 38,4% .

* أنّ استخدام الأبناء للإنترنت قد أدى للتهاون في أداء الصلاة، بنسبة بلغت 44,7%.

* أنّ استخدام الإنترنت ساهم في تكوين علاقات غير مسموحة بين الجنسين عن طريقه، بنسبة بلغت 44,4%.

* أنّ إطلاع الأبناء على المواقع المتنوعة داخل شبكة الإنترنت أدت إلي تغيير طريقة اللبس، بنسبة بلغت 39,3% .

* أنّ استخدام الإنترنت ساهم - أحياناً - في تقليد قصّات الشعر الغريبة، بنسبة بلغت 39,35% .

* أنّ استخدام الإنترنت ساهم - أحياناً - في اكتساب ألفاظ غير لائقة، بنسبة بلغت 38,54% .

* أن مواقع الإنترنت يُشجع - أحياناً - على استخدام العنف كأسلوب في التعامل مع الآخرين، بنسبة بلغت 39,4%.

* أن استخدام الإنترنت أدى إلى مُطالبة الأبناء بنيل حُرِّية أكثر في اتخاذ قراراتهم الشخصية، بنسبة بلغت 44,5%.

* أن استخدام الإنترنت أصبح وسيلة للهروب من المشكلات لدى المراهقين، بنسبة قدرها 43,4%.

لقد أثر الإنترنت سلباً علي البنين الأخلاقي للأطفال والمراهقين، فقد وفرت الإنترنت مواقع لا أخلاقية، أو مواقع إباحية، ومواقع تدعو إلي العنف والكرهية، وأخري تجعلهم يدخلون في تجارب عاطفية وهمية. وقد أصبح لكل فرد منهم عالمه الافتراضي الخاص به، الذي يتعامل معه من خلال الإنترنت الأمر الذي يُهدد تماسك الأسرة وقدرتها علي ممارسة دورها الأساس في التنشئة الاجتماعية والأخلاقية.

وبالاستناد إلي بعض نتائج الدراسات التي اهتمت بالبحث في تأثيرات استخدام الإنترنت علي الأسرة، يمكننا أن نبرز أهمها، علي النحو التالي:

* المراهقون والشباب لم يعودوا يعتمدون علي الأسرة في الحصول علي المعلومات حيث يلجئون إلي مواقع المنتشرة علي شبكته.

* اعتماد الأطفال والشباب علي الإنترنت قد انتهك خصوصية الأسرة.

* تعامل الشباب مع الإنترنت قد ولد صراعات مع الأبوين ممّا تسبّب في إضعاف تماسك الأسرة.

* استخدامات الإنترنت أدت إلي استهلاك الوقت، وبالتالي انخفضت كمية الوقت الذي يقضيه الأطفال والشباب مع والديهم.

* الاستخدام المُتكرّر من قِبل الأبناء للإنترنت يؤثر سلباً علي السمات الشخصية لهم، فينعكس ذلك علي علاقتهم بوالديهم.

* بعض الآباء لا يتابعون ما يقوم به الأبناء في تعاملهم مع الإنترنت، وهناك بعض الآباء يتجاهلون أو لا يدركون مخاطر استخدام أولادهم المُتكرّر للإنترنت وخصوصاً الأطفال.

وهناك دراسات واستطلاعات عديدة تُشير إلي عدد كبير من الآثار السلبية الأخرى علي الأسرة، ففي الولايات المتحدة الأمريكية مبتدعة هذا الإنترنت، برزت إلي الوجود ظاهرة جديدة تُسمي "أرامل لإنترنت" Cyber windows، حيث وصلت نسبة النساء اللواتي يشكين من إيمان أزواجهن الإنترنت ويطلبن الطلاق إلي 53 %، وذلك طبقاً للدراسة التي نشرتها "كيمبرلي يونغ" Kimberley Young في مؤتمر مؤسسات علماء النفس الأمريكيين المُنعقد عام 1997.

وفي مصر أعلن جهاز التعبئة العامة والإحصاء تسجيل 45 ألف حالة طلاق خلال عامي 2006-2007 سببها إدمان الأزواج علي الانترنت، وذلك من مجموع حالات الطلاق التي بلغت 75 ألف حالة، وهي نسبة كبيرة جداً إذا ما كانت هذه المعطيات صادقة.

وتوضح الجهة ذاتها أن 68% من حالات إدمان الإنترنت المُسببة للطلاق كانت بسبب إنشاء معارف وصداقات بين الزوج ونساء أخريات عن طريق الإنترنت. كما انتهت العلاقات في 56% من حالات إدمان الإنترنت إلي حدّ الخيانة الزوجية عن طريق الدخول إلي المواقع الإباحية أو غرف المحادثات (الشات) والمنتديات الجنسية.

ورصدت دراسة سعودية أنّ شبكة الانترنت مسؤولة عن 65% من نسب الطلاق بين أزواج تتراوح أعمارهم بين 29 و 30 عاماً ولم يمرّ علي زواجهم سوي سنوات محدودة، وكانت دوافع دخولهم هذا العالم مختلفة وتتوزّع بين عدة عوامل منها: 46% نتيجة ضعف الوازع الديني والأخلاقي. 20% نتيجة الشعور بالملل تجاه الزواج. 16% نتيجة بُعد أحد الزوجين عن المنزل. 10% نتيجة حُب الاستطلاع والرغبة في التغيير. 6% نتيجة صعوبة التفاهم بين الزوجين. 3% نتيجة فتور العلاقات العاطفية والحميمية بين الزوجين.

وفي دراسة أجرتها مجلة أمريكية متخصصة أكّدت أنّ المجتمع البشري سيعيش حالة من الفوضى خلال السنوات المقبلة نتيجة طغيان تكنولوجيا المعلومات علي الحياة البشرية، قبل أن يتوصل الإنسان إلي توازنٍ جديد معها، وتوظيفها مع متطلباته المعيشية والاجتماعية بشكلٍ سليم.

♦ الوقاية.. وأساليب التحصين :

كيف نقضي على تأثير الإنترنت السلبي على أفراد الأسرة ؟ ربما على الأب والأم وضع نظام يطبقه كل فرد في الأسرة، مثل عدد ساعاتٍ معين مسموح به للجلوس على الإنترنت، فالإنترنت لا يزال هاماً لا يمكن الاستغناء عنه، فمنعه في المنزل ليس حلاً جيداً، كما أنه مستحيل أيضاً، بالإضافة إلي وضع عدد ساعات معين للإنترنت محاولة التجمع مع الأسرة في كل وقتٍ ممكن وفتح النقاش والحوار حول الكثير من الأمور، وخلق الجو الأسري الذي يجب أن يكون، فلا يجب أن يتناول فرد طعامه وحيداً مثلاً، كما أنه عند الجلوس مع الأسرة يجب الامتناع عن استخدام أي وسيلة للتواصل مع الإنترنت، وخاصة بالنسبة للأب الذي لا يهدأ هاتفه عن الرنين، ربما الاتفاق مع الأسرة على مشاهدة فيلم أسبوعي مع بعضهم ومناقشته، والامتناع به، كما أنه يجب على الأب والأم معرفة ما يقوم أبنائهم بفعله جيداً ولكن ليس من باب المراقبة بل من باب الصداقة، فإن

الطفل إن كان صديقاً لأمه أو أبيه كان ذلك أسهل عليه عندما يقوم بتلقي نصيحة ما، أو زجر على عمل معين سيء قام به، ومحاولة الأب والأم إشراك أبنائهم في العديد من الأنشطة التي تثقل موهبتهم، وتجعلهم يتواصلون مع العالم الخارجي بعيداً عن الإنترنت لفترة ما.. ربما إن حاول الوالدان فعل ذلك قل تأثير الإنترنت السلبي على أفراد الأسرة، وحفظها قليلاً من التفكك الذي يعترئها.

وهذه بعض أساليب الوقاية والتحسين:

1 - إبرام الاتفاقيات الدولية بهدف تقوية القيم الأخلاقية والمجتمعية؛ للحفاظ على ترابط وتماسك أفراد الأسرة بعضهم البعض، إلى جانب اتفاق دول العالم على منع الشركات الخاصة التي تروج قيماً تمسّ تماسك الأسرة، سواء بعدم إنشائها من الأصل، أو بإبذارها، أو بإغلاقها. ومحاولة طرح برامج تسهم في تلافي عيوب الإنترنت في محيط الأسرة.

2 - العمل على وجود قانون خاص بجرائم الإنترنت واستخداماته فلا الاستنكار يُجدي، ولا التجاهل يُفيد، ولا الرقابة تكفي، ولا سبيل أماناً إلاً اكتساب المزيد من الوعي والمرونة والتكيف، لأن نهر الحياة سيستمر بالجريان والتدفق، وعلينا أن نجيد السباحة وسط أمواجه المتلاطمة ما دامت الحياة.

3 - التوعية والإرشاد من خلال وسائل الإعلام بالطرق المثلى لاستخدام الإنترنت.

4 - ضرورة التوعية المستمرة بتبصير الأطفال والشباب بأهمية الوقت، وعدم إهداره بما لا يُفيد.

5 - علي المؤسسات المهمة م بقضايا الطفولة والشباب والأسرة بشكل عام، أن تُكثف جهودها في التنسيق والتعاون فيما بينها؛ من أجل المحافظة على ترابط الأسرة وتوعية أبنائها.

6 - تُقام دورات تدريبية في مجال التواصل الاجتماعي، والترابط الأسري، ينبغي الالتحاق بها، خاصة لمن يُعاني من العزلة والانطواء بسبب استخدام الأجهزة التي تتصل بشبكة الإنترنت.

7 - أهمية تعلم الآباء والأمهات كيفية استخدام الإنترنت، وطريقة الدخول إلى المواقع، والمدونات وغرف الدردشة، والتجوال في مواقع التواصل الاجتماعي: "فيسبوك" Facebook، و"تويتر" Twitter و"أنستجرام" Instagram وغير ذلك. والتعرّف على اللغة التي يتخاطب ويتراسل بها الأطفال والشباب لتكون لديهم القدرة على الحوار الهادف مع أبنائهم.

8 - من المهم مراقبة سلوك الطفل أو المراهق أثناء استخدام الإنترنت مع ضرورة تواجد أحد الأبوين أثناء استخدامه للإنترنت، ولكن قد يتعذر هذا الإجراء

في كثير من الأحيان مع استخدامه الهاتف المحمول أو الجوّال الذي يصطحبه معه أينما ذهب. ولكن في جميع الأحوال لابدّ من توفير الوعي الأخلاقي والثقافي والمجتمعي له بحيث يكون هو الرقيب علي نفسه عندما يتصفح مواقع الإنترنت.

9 - يجب على الوالدين تحديد أوقات وأماكن مُعيّنة لاستخدام شبكة الانترنت داخل المنزل.

10 - ينبغي على الوالدين أن يعملون على تقليل استخدام المراهقين للإنترنت.

11 - وضع برامج حماية وحجب للمواقع الضارة للمستخدمين من الاطفال والمراهقين،كلّما أمكن ذلك.

12 - عدم تصفح الإنترنت، وخصوصاً علي أجهزة الهواتف أثناء تناول الطعام، أو أثناء اجتماعات الأسرة.

13 - ضرورة إيجاد أوقات فراغ، ولو مرّة واحدة في الأسبوع، بحيث يتجمّع أفراد الأسرة جميعاً لممارسة نشاط ترفيهي، أو الخروج في نزهة، أو حتى لمناقشة قضايا ما.

14 - يجب أن يُشجع الأبناء من قِبل أسرهم علي ممارسة بعض الهوايات التي يحبونها: مثل الرسم، أو الرياضة.. الخ بعيداً عن الأجواء الافتراضية.

15 - يجب تنمية العلاقات الاجتماعية للأبناء من خلال تشجيع الأسرة لهم علي تكوين صداقات حقيقية.

